



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الموصل / كلية الآداب  
مجلة آداب الرافدين

# مَجَلَّةُ

# آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد التسعون / السنة الثانية والخمسون

صفر - ١٤٤٤ هـ / أيلول ١٥ / ٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: [radab.mosuljournals@gmail.com](mailto:radab.mosuljournals@gmail.com)

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



# المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية  
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: التسعون السنة: الثانية والخمسون / صفر - ١٤٤٤هـ / أيلول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/السعودية
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فيننثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلبي/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

## قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup>

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

. <https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login>

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيّة أو فرضيّات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتّبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

# المحتويات

الصفحة	العنوان
<b>بحوث اللغة العربية</b>	
٢٦ - ١	تنوع الأوجه الإعرابية للمرفوعات في كتاب (تمرين الطلاب في صناعة الإعراب) للشيخ خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ) نسرين أحمد حسين الساداني ومحمد ذنون فتحي
٤٦ - ٢٧	الوعي بتاريخ العجم القديم في الشعر الجاهلي - الأكَاسرة أُنموذجًا - إسلام صديق حامد وباسم إدريس قاسم
٦٤ - ٤٧	التوجيه الصوتي لظاهرتي (الإظهار والإدغام) عند الهميضي (ت: ١١١٧هـ) في كتابه (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلالة أحمد كلالي وعبداستارفاضل خضر
٨٤ - ٦٥	دلالة ظاهرة العدول في كتاب (معتزك الأقران) للسيوطي (ت ٩١١هـ) التذكير والتأنيث - أُنموذجًا - ليندا باكوز أبرم ومنال صلاح الدين الصقّار
٩٤ - ٨٥	الإشارات تمارة نبيل اليامور وأن تحسين الجلبي
١٢٨ - ٩٥	مقدمة في علم حروف الهجاء في باب الألف اللينة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق ودراسة رافع إبراهيم محمد إبراهيم
١٦٢ - ١٢٩	التشبيه المرکّب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) علي عبد علي الهاشمي وشيماء أحمد محمد
١٧٦ - ١٦٣	الشاهد النحوي الشعري في شروح اللمع لابن جني (ت ٣٩٢هـ) معجم وتوثيق - باب المفعول المطلق أُنموذجًا - خالدة عمر سليمان وصباح حسين محمد
٢٠٤ - ١٧٧	التأويل في ضوء التداولية المعرفية نماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري وعبدالله خليف خضير
٢٣٨ - ٢٠٥	التعليل الصرفي في الدرس اللغوي لأبنية الأفعال المزيدة عند ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): الخصائص محورًا مصعب يونس طركي سلوم وهلال علي محمود
٢٥٨ - ٢٣٩	سيمولوجيا الاسم ودوره في تصوير البعد الاجتماعي للشخصية الروائية قراءة في رواية (رياح الخليج) لإبراهيم السيد طه حارث ياسين شكر المشاطة
٢٨٢ - ٢٥٩	الإظهار في مقام ضمير الرفع (المتصل، المنفصل) دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ت ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
٣١٢ - ٢٨٣	مرويات الأسعديّ من كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني جمع ودراسة سعد خطاب عمر
٣٤٢ - ٣١٣	موقف المستشرق غارسيه غومس من الشعر الأندلسي سعدية أحمد مصطفى

٣٧٠ - ٣٤٣	الخوف الديني في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري رغدة بسمان الصائغ وفواز أحمد محمد
٣٩٤ - ٣٧١	المرجعيات الثقافية في رواية يوليانا لنزار عبدالستار قيس عمر محمد
٤١٤ - ٣٩٥	شعرية العنونة في شعر أحمد جار الله محمد طه عبد المعين
٤٤٢ - ٤١٥	ميمية ابن الرومي في رثاء البصرة دراسة أسلوبية طارق حسين علي
٤٧٤ - ٤٤٣	المشتقات في القصائد المتعلقة دراسة صرفية دلالية معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجاً نجيب محمود علاوي
<b>بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية</b>	
٤٩٤ - ٤٧٥	صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٥٧٦٤هـ/١٣٦٣م) وعلاقته بعلماء عصره نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٥٢٠ - ٤٩٥	حركة مجتمع السلم (حمس) ودورها السياسي في الجزائر أحمد خالد أحمد وسعد توفيق عزيز البزاز
٥٤٢ - ٥٢١	الجدور التاريخية للمغول والبداية الرسمية لقيام دولتهم سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م زياد علاء محمود ونزار محمد قادر
٥٦٠ - ٥٤٣	محكمة العدل الدولية وقضايا العرب في المغرب العربي (١٩٧٣-١٩٩٨) قضية شريط أوزو نموذجاً أنسام أديب الضاحي ومجول محمد محمود
٦٠٠ - ٥٦١	هجرة القبائل من الجزيرة العربية الى العراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وعلاقتها بالسلطة العثمانية هاشم عبد الرزاق صالح الطائي
٦٢٤ - ٦٠١	أزمة المياه وأثرها على دول حوض النيل من القرن العشرين ولغاية عام ٢٠١٥ إطلال سالم حنا
٦٤٢ - ٦٢٥	الملاحم الاقتصادية من خلال كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي (٦٠٦هـ-١٢٠٩م) أشرف عبد الجبار محمد
٦٦٦ - ٦٤٣	الأحوال الاقتصادية في العصر الراشدي نشتيمان علي صالح
٦٩٠ - ٦٦٧	التحديات التي واجهت الملك فيصل ١٩٢١-١٩٣٣ عباس إسماعيل الرؤاس
٧١٤ - ٦٩١	جند السودان الغربي في عهد المرابطين وأسلحتهم فائز فتح الله الرعاش
<b>بحوث علم الاجتماع</b>	
٧٦٤ - ٧١٥	إضطرابات الأكل وعلاقتها بحل المشكلات لدى ربات البيوت في مركز مدينة أربيل مؤيد إسماعيل جرجيس و سلمى حسين كامل
٨١٨ - ٧٦٥	الحوار الديني وبناء السلام وترسيخ التعايش السلمي في العراق الحالي الحوار المسيحي-الإسلامي نموذجاً عذراء صليوا شيتو

### بحوث الفلسفة

٨٤٢ - ٨١٩

الذاكرة والتذكر بين هنري برجسون وبول ريكور - مقارنة مفاهيمية  
فنز ميسر سعيد و أحمد شيال غضيب

### بحوث الشريعة والتربية الإسلامية

٨٦٨ - ٨٤٣

أثر السياق القرآني في ورود الصفات الخبرية الموهمة للتجسيم  
ياسر عبد العزيز سيدويش و ظافر محمد عبدالله

### بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة

٨٩٢ - ٨٦٩

التحوّل لخدمات المعلومات الرقمية في المكتبات الجامعية العراقية  
سلام جاسم عبدالله العزّي

### بحوث علم النفس وطرائق التدريس

٩١٤ - ٨٩٣

تقويم كتاب مادة الأدب والنصوص للصف الرابع العلمي من وجهة نظر تدريسيها  
عدنان حازم عبد أحمد

٩٧٢ - ٩١٥

المرونة المعرفية وعلاقتها بأساليب التعلم لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في  
جامعة الموصل  
شيماء طلب النجماوي

### بحوث القانون

١٠١٠ - ٩٧٣

الإطار المفاهيمي لمنظومة الأمن العام  
مصلح جميل أحمد و مجيد خضر أحمد

## الذاكرة والتذكر بين هنري برجسون وبول ريكور - مقارنة

### مفاهيمية

فـنر ميسر سعيد \* و أحمد شيال غضيب \*\*

تاريخ القبول: ٢٠٢١/٩/١٨

تاريخ التقديم: ٢٠٢١/٩/٦

المستخلص:

يتناول هذا البحث مفهوم الذاكرة عند كل من هنري برجسون وبول ريكور، إذ تؤدّي الذاكرة دورًا من أبرز الأدوار في تكوين تصوراتنا، وهذه المكانة يسلم بها جميع الفلاسفة، إنّ الإحساسات التي تقدمها لنا حواسنا لا يكون لها معنى في عقلنا إلا حينما تقدم ذكرياتنا لمخيلتنا ما تفسرها به، وهذا ما ينطبق على الكلمات التي تتركب منها لغتنا؛ لذلك نحن لا نوجد تجاه أنفسنا إلا بالقدر الذي نتذكره من ماضينا الذي عشناه، ونشعر بالاستمرار الذي يصله ويوحده بحاضرنا، ومن تلك الأهمية كان غاية البحث في المقارنة بين موقف كلا من الفيلسوفين من الذاكرة والتذكر؛ إذ اتخذ كلاهما غاية أساسية هي إظهار أهمية الذاكرة ودورها الحقيقي في الحياة الإنسانية بمختلف مفاصلها النفسية والاجتماعية والتاريخية، مع اختلاف توجهاتهم، فالذاكرة البرجسونية ذاكرة نفسية ذاتية متحرره من سطوة وسيطرة الآلة والمذاهب المادية الفلسفية والنفسية، والذاكرة الريكوربية تاريخية ذات طابع توفيقى بين الذاكرة الذاتية الشخصية والذاكرة الجماعية، نابعة من منطلق تاريخي.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة، تذكر، مقارنة .

المقدمة:

يحاول بحثنا الموسوم بـ (الذاكرة والتذكر بين هنري برجسون وبول ريكور - مقارنة مفاهيمية) مناقشة أهمية وطبيعة الذاكرة؛ إذ يمثل مبحث الذاكرة في الفلسفة مكانة مميزة جداً؛ إذ تدخل الذاكرة في صلب تكوين الجانب المعرفي في الفلسفة، كما أنّها لم تتفك عن

\* طالب ماجستير/قسم الفلسفة/كلية الآداب/الجامعة المستنصرية.

\*\* أستاذ مساعد/ مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية/الجامعة المستنصرية.



الأسس الرئيسية للفلسفة منذ بداية الفلسفة كنشأة حتى وقتنا هذا، حتى أنها نالت عناية علوم أخرى مثل علم النفس والاجتماع اللذان عُنيا كثيرا بمفهوم الذاكرة منذ نشأتها بمختلف مدارسها ونظرياتها.

شهدت الذاكرة في تاريخ الفلسفة عناية واضحة عبر الحقب الفلسفية المتعاقبة، إذ تطورت كما تطور الفكر الفلسفي من خلال المذاهب الفلسفية الكبرى، فهي تدخل ضمن نظرية المعرفة لكل فكر فيلسوف أو مذهب فلسفي، فمنذ الفلسفة اليونانية نالت الذاكرة عناية كبيرة ومكانة خاصة، وصولاً إلى الفلسفة المعاصرة بشكل عام والفلسفة الفرنسية منها بشكل خاص، إذ لقيت عناية فائقة ولا سيّما من الفيلسوفين الفرنسيين هنري برجسون وبول ريكور.

يعدّ موقف برجسون من الذاكرة موقف مميز، وحظيت بمكانة مهمة في فلسفته، إذ عدها ظاهرة نفسية ذاتية، وليست ظاهرة فسيولوجية، كما كان يعتقد في السابق، فالذاكرة نفسية وهي التي تصور لنا الحوادث الذهنية، وهي مرتبطة بكل جوانب فلسفته مثل الشعور والديمومة والحدس والتطور، وكأنها حلقة وصل بين أجزائها، والذاكرة أيضاً حسب برجسون هي الخطوة الأساسية لحل مشكلة العلاقة بين النفس والجسد.

وكذلك نجد للذاكرة حضور قوي في فلسفة بول ريكور، فالذاكرة لديه، فالذاكرة لديه هي ذاكرة تاريخية جماعية وذاتية في الوقت نفسه؛ إذ كانت لديه ذاكرة شاملة بين الذاتية والجماعة. هذا وقد جعل ريكور من الذاكرة حل لبعض المشاكل في فلسفته وأبرزها هي مايتعلق بالتاريخ والسرد والهوية السردية، فالذاكرة بحسب ريكور عبارة عن صور، و يساهم التاريخ في تكوين الصيغة اللفظية التي تعبر عن تلك الصور وعلى اعتبار ان الذاكرة هي حوض الكائن الذي تتجمع فيه كل الصور العقلية والفعلية والماضية والحاضرة.

من خلال تلك المكانة التي حظيت بها الذاكرة عند كلا الفيلسوفين محاولين في ذلك الخوض عميقا في النصوص المؤسسة لهذه المواقف؛ لذا تم تقسيم البحث إلى مقدمة واربعة مباحث وخاتمة بالنتائج، إذ تناول المبحث الأول: (علاقة الذاكرة والنسيان بديمومة الزمن والخيال) تضمن ثلاثة مطالب الأول: بعنوان (ديمومة الماضي واصالته: تمفضلات الزمن عبر الذاكرة)؛ إذ تضمن هذا المبحث على مسألة أصالة الماضي

والوفاء له إذ معتبرين أنَّ عملية التذكر نابعة من أصلها الماضي، وأنَّ الحاضر لا ينفك عن ما كونته الذاكرة من معلومات عبر الزمن؛ إذ إنَّ الاثنين يرتكزان إلى أنَّ الذاكرة هي من الماضي.

أمَّا المطلب الثاني: فقد جاء بعنوان (الذاكرة والنسيان: الذاكرة الإجرائية في أفق الذاكرة التي لا تفنى)؛ إذ كان هذا المبحث نتيجة لعملية الوفاء إلى الماضي في المبحث السابق، فكانت عملية التعرف إلى الماضي مسألة مميزة في فكر الفيلسوفين، على اعتبار أنَّ الذاكرة إجرائية لديهم لا تفنى ولا تنسى إنَّما الإنسان قدرة على استرجاع الذكريات وأيضًا له قدرة على إخفائها لحين الاستعانة بها.

وتتاول المطلب الثالث: فقد كان بعنوان (الذاكرة والخيال) حمل هذا الموضوع موقف متشابه بين الفيلسوفين، أنَّ برجسون لم يعد التذكر تخيلًا؛ لأنَّه وهمًا، وريكور أيضًا اعتبر الخيال عالم وهمي مخالف للعالم الواقعي.

واختص هذا المبحث الثاني: فقد كان بعنوان (أمراض الذاكرة وإساءات الاستعمال) وتضمن مطلبان الأوَّل: فقد كان بعنوان (أمراض واضطرابات الذاكرة عند برجسون)، والمطلب الثاني: بعنوان (آليات الاستعمال السيء للذاكرة عند ريكور) فقد عرض هذا المبحث أمراض الذاكرة وإساءات الاستعمال التي تهدف لديهم إلى توضيح خلل فقدان الذكريات، وخلل عملية التذكر الناتج عن مرض في الأجهزة الدماغية أو إساءات في استعمال الذاكرة، وكأنَّ الفيلسوفين يقرون أنَّ كل الاتهامات التي وجهت للذاكرة كانت خاطئة، وهذا الخطأ نبع عن سوء فهم وتفسير للعمل الحقيقي للذاكرة.

وفي الخاتمة حاولت تقديم خلاصة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وفق تسلسل المباحث.

هذا ولم تقتصر هذه البحث على منهج واحد وإنَّما أكثر من ذلك كالمنهج الوصفي والتحليلي بهدف عرض الجوانب المهمة في الموضوع الذي هو الذاكرة في الفلسفة المعاصرة بين برجسون و ريكور، وبيان موقفهم منها وفق منهج وصفي تحليلي من خلال تقديم وجهات نظر الفيلسوفين تساعد على توضيح أهمية وطبيعة الذاكرة في الفلسفة بشكل عام والفيلسوفين بشكل خاص.

من الجدير بالذكر أنَّ المطلعين على الموضوع هم حتماً الأكثر ادراكاً باتساع مادته وعمق تأثيره؛ لذلك عملت على ذكر ما استطلعت الوصول اليه مما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الرسالة وإيراد الأفكار والآراء التي تساعد الموضوع وتجعله موضوعاً للمناقشة والتقويم، وسعى البحث إلى بيان أهمية الذاكرة، فإن كرماً بأن أضفنا شيئاً جديداً فهذا لم يأت إلا بعد متابعة لما جاء في صلب الموضوع، وأخفقت في بعض المسائل، فكلّي أمل أن تقوم ملاحظات هذه البحث لتكتمل الصورة بكل مكوناتها في إبراز أهمية هذه الدراسة، وإنّي لأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وما توفيقى إلا بفضل من الله.

• المبحث الأوّل: علاقة الذاكرة والنسيان بديمومة الزمن والخيال:

• المطلب الأوّل: ديمومة الماضي وإصالته: تفضلات الزمن عبر الذاكرة:

والذكريات الماضية تتبنا في كل لحظة، فكل ما شعرنا به وما فكرنا فيه وما أردنا من طفولتنا الأولى قائم هناك ومتجه نحو الحاضر، فمن شأن الماضي يتقدم ويتراكم، بحيث يبقى محفوظاً، وهذا يدل على الإقرار بالماضي وقيّمته، من حيث إنّنا لا ننفصل عنه، وهذا الأمر ينتج إلى أنّ فلسفة برجسون تحترم الماضي والتجارب السابقة<sup>(١)</sup>. لذلك يرى برجسون أنّ هناك نقطة وصل بين الإدراك الخالص (الحاضر)، وبين الذكرى الخالصة، إذ إنّ "الإدراك الخالص أي الانبي ما هو إلا مثل أعلى أوجد كل إدراك فهو يشغل كثافة ديمومة معينة، يجعل الماضي يمتد في الحاضر ويشارك من ثمة الذاكرة في طبيعتها"<sup>(٢)</sup>.

كما يُعدُّ برجسون أنّ أي عملية للإدراك الحاضر يؤدي بنا إلى التذكر، تذكر للتجارب الماضية، فيقول "من الواجب أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ الإدراك ينتهي بأن لا يكون شيئاً بخر غير مناسبة للتذكر... لا شك أن إدراكاتنا مشوبة بذكريات... الإدراك والذكرى تمتد أخلاق إذا دائماً"<sup>(٣)</sup>.

(١) مصطفى غالب، هنري برجسون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دبط، ١٩٩٨، ص ١١٥ .

(٢) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ترجمة: اسعد عربي درقاوي، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دبط، ١٩٦٧، ص ٢٥٤.

(٣) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ص ٦٥.

بحسب برجسون أننا إذا "وضعنا الذاكرة، أي بقاء الصور الماضية، فستختلط هذه الصور باستمرار بإدراكنا للحاضر وتتمكن حتى من أن تتوب منابه؛ لأنها تحتفظ إلا تغدو نافعة" (١) وهذا يعني أن الذاكرة لا تحفظ إلا الذكريات النافعة، وهذه الذكريات تندمج باللحظة الحاضرة، ففائدة اللحظة الحاضرة التي ندركها، هي طريق استحضار للذكريات الحاضرة، فإدراكنا لا ينفك عن تجاربنا السابقة، وهذه الإدراكات تتراكم باستمرار.

إذ يقودنا هذا إلى التساؤل الآتي: هل الذاكرة هي مركز الإدراكات الخارجية أو

العكس؟ وهل الإدراكات هي التي تقوم بعملية ظهور للذكريات؟

ليس الإدراكات الحسية هي التي تحدد بطريقة آلية ظهور الذكريات، بل أن الذكريات هي من تظهر نفسها بطريقة تلقائية لملاقاة الإدراك الحسي، وهذا يعني أن الظهور يكون من الداخل إلى الخارج، ومن المركز الذي هو الذاكرة إلى المحيط أي الإدراكات الحسية، وهذا الانتقال يتم بفضل الانتباه أو توتر الشعور فيه الذي فيه تستخرج النفس الذكريات المحضة، ومن ثم تستحيل الصور فتعين النفس على تأويل الإدراك المحض (٢)، ويُعدُّ برجسون: "الذاكرة، وهي عملية لا تقبل الفصل عن الإدراك، تدمج الماضي في الحاضر وتقلص كذلك في حدس وحيد لحظات ديمومة متعددة، وعلى هذا النحو تسبب بعمليتها المزدوجة كوننا واقعياً ندرك المادة في ذواتنا، على حين أننا مبدئياً ندركها في ذاتها" (٣).

ينفق بول ريكور مع طروحات برجسون في الذاكرة؛ إذ يستشهد بآراء برجسون في تحديد اشكال الذاكرة، فمن خلال محاورة أُجرت له ضمن كتاب (مسيرة فلسفية) يجيب على سؤال يخص الماضي واضعاً إجابته مستندة على رأي برجسون، إذ يقول " لدينا نوعان من العلاقة بالماضي: الماضي الفاعل وهو العادة، والماضي المتمثل ذهنياً، وهو الذاكرة، لكن لا يشكل المتمثل إلا جزءاً صغيراً، وهو جزء يتم تناوله بالرجوع إلى ماض فاعل يفعل في جسدنا في خلايانا في دماغنا" (٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤ .

(٢) زكريا ابراهيم، برجسون، دار المعارف، مصر، دبط، ١٩٩٨، ص ١١٦ .

(٣) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ص ٧١ .

(٤) بول ريكور، السيرة الفلسفية، حاوره فرانسوا والد، ضمن كتاب مسارات فلسفية، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤ ص ١٨٦ .

مع هذه الثنائية البرجسونية التي قسمت الذاكرة إلى قطبين، يرى ريكور على الرغم من هذه الثنائية وملاحظاته عليه، إلا أنَّ هناك عاملاً مشتركاً يتفق معه، قائلاً " إنَّ أوَّل زوج تعارضي يتشكل مع مثني (العادة والذاكرة)، ولقد مثلها في ثقافتنا الفلسفية المعاصرة التمييز الشهير الذي اقترحه برجسون بين الذاكرة\_ عادة والذاكرة\_ ذكرى... نحن سنتبع بالأحرى نصائح التجربة المثقلة قليلاً فقط بالمسلمات الميتافيزيقية والتي تقول ان العادة والذاكرة تشكلان قطبين لمتتالية مطردة لظواهر ذاكرية، ما يقيم وحدة هذا الطيف هو المشاركة في الصلة بالزمان، في اقصى الحالين هناك تسليم بوجود تجربة مكتبة سابقاً"<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من اختلاف الحالتين أو الشكلين في اكتساب واستعمال هذه التجارب السابقة، ولكن الصلة واحدة والنتيجة الأبرز هي التي تجمع الشكلين وهي الماضي، فيقول ريكور " في الحالة الأولى وهي حالة العادة فإنَّ هذا المكتسب قد اندمج في المعاش الحالي، غير الملاحظ وغير المعلن على أنَّه من الماضي، أمَّا في الحالة الأخرى فإنَّ الإحالة هي دومًا إلى الأسبقية كأسبقية في الاكتساب القديم، وفي الحالتين يبقى صحيحًا ومن ثمَّ أنَّ الذاكرة هي من الماضي"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ فلسفة برجسون تعترف بالماضي، وكل فلسفة تعترف بذلك يسودها الطمأنينة، وترشدنا إلى الاتصال في الحياة النفسية إلى الاعتراف بشخصيتنا الإنسانية، من حيث إنَّ هذه الشخصية هي اتصال ديناميكي حقيقي يقضي بأن يظل الماضي باقياً في الحاضر، وهذا البقاء يكون أساساً لاستعادة الذكريات فالخطوة الرئيسة التي تخطوها الذاكرة هي استناداً إلى الماضي التي لا تتفك عنها، وبذلك تتفق الذاكرة الريكورية مع البرجسونية في حقيقة أنَّ الذاكرة من الماضي، والماضي هو القاعدة الأساسية التي تنطلق منها الذاكرة عن الماضي"<sup>(٣)</sup>.

(١) بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان)، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان،

ط١، ٢٠٠٩، ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٣) ينظر: مصطفى غالب، برجسون، ص ١١٦.

• **المطلب الثاني // الذاكرة والنسيان - الذاكرة الاجرائية في افق الذاكرة التي لا تفنى:**

من خلال العلاقة السابقة بين الالثنين (الذاكرة هي الماضي) تقودنا إلى المسألة إلى علاقة ومقاربة اخرى بين برجسون و ريكور، وهي التعرف إلى الذاكرة أو الماضي، إذ يعتقد ريكور في مقاربة برجسونية أن هناك وسيطاً خليطاً بين ما يسميه برجسون بالذكري المحضة والذكري العادة وهذا الوسيط هو الصورة - الذكري، إذ التعرف أو الاستذكار للصورة المكون من الزوج الصورة في النفس والصورة التي تركها الانطباع الأول، يقدم الحل الجذري للغز التقليدي الموروث منذ الفلسفة الأرسطية، الأمر الذي يجعل من التعرف أكثر الأفعال تكويناً للذاكرة<sup>(١)</sup>.

هذه المقاربة جاءت من حديث برجسون عن الجهد الفكري أو العقلي في عملية الاستذكار أو التعرف، إذ يقول في كتابه الطاقة الروحية: "عندما تتذكر أحداثاً مضت، وعندما نؤول أحداثاً حاضرة، وعندما نستمع إلى خطاب...وأخيراً عندما نستطيع اتخاذ موقفين مختلفين الأول توتري والآخر لا مبال؛ والموقفان يختلفان من حيث أن الشعور بالجهد مائل في الموقف الأول وغائب في الموقف الثاني، فهل أن عملية التصورات هي ذاتها في الحالين؟ وهل ان العناصر الفكرية هي نفس النوع وهل لها فيما بينها نفس العلاقات?...انها ترد كلها إلى مسألة واحدة: ماهي الميزة الفكرية للجهد العقلي؟"<sup>(٢)</sup>، بذلك ميز برجسون بين مستويين من الاستذكار أو التعرف الأول آني فوري والثاني شاق ومتوتر، وجعل الجهد العقلي مقياس لهذين النوعين.

الغاية التي تهتم برجسون هي جهد التذكر أو التعرف الساعية إلى ايجاد الذكري التي تبحث عنها وكيفية التعرف عليها في اعماق الذاكرة، يقول برجسون "عندما نتعلم درساً عن ظهر قلب، أو عندما نسعى في ذاكرتنا إلى تثبيت مجموعة من المشاعر، فإن هدفنا الوحيد يكون في إيجاد حفظ ما نتعلم، وقلما نعنتي بما يتوجب علينا فعله فيما بعد لكي

(١) جناة بلخن، المسار الفلسفي للاعتراف عند بول ريكور، (بحث) ضمن مجلة يتفكرون، الهوية والذاكرة ومسارات الاعتراف، العدد الرابع، ٢٠١٤، ص ٩١ .

(٢) هنري برجسون، الطاقة الروحية، ترجمة: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١، ص ١٤١ .

نتذكر ما تعلمناه، أن قلمه نابِه لآلية التذكر، أن المهم والاساسي هو ان نستطيع تذكر الذكري، كيفما كان، عندما نحتاج اليها، ولهذا نستعمل بان واحد، وبالتالي، الاساليب الاكثر تنوعا، فعمل الذاكرة الالية، وكذلك الذاكرة الذكوية، مراكمين بينهما الصور السمعية والبصرية والحركية لكي نحفظهما"<sup>(١)</sup>؛ إذ كانت نظرية برجسون في التعرف والاستذكار محطة إعجاب لريكور، فكل تعرف أو تذكر يؤدي إلى حضور صور أخرى مشابه لما تذكره، بذلك تكون عملية التعرف هي عملية تذكر، وتكون ميسرة وتؤدي مهمتها بنجاح.

إذ فرق برجسون بين التذكر المجهد والتذكر التلقائي، وبين الذكري الصورة والذكري المحضة، "حيث يكون جهد التذكر هو حالة من حالات الجهد العقلي، وأيضا حالة من حالات النضال ضد النسيان، الذكري المحضة اشبه ما تكون بالدرس المحفوظ عن ظهر قلب، في التعرف أو التحقق تتم عملية تحويل الذكري المحضة إلى الذكري الصورة؛ معنى ذلك أن التعرف هو الفعل الي بواسطته نتعرف إلى الماضي في الحاضر"<sup>(٢)</sup>.

يرى برجسون في الحقيقة، هي أن "حاضرنا هو قبل كل شيء حالة جسمنا، ماضيها هو بالعكس الشيء الذي لم يعد فاعلا، ولكنه قادر على الفعل، هو ما سيفعل باندماجه في إحساس حاضر سيستمد منه الحيوية"<sup>(٣)</sup>، أي أننا من التعرف إلى الماضي تضفي للحاضر معنى وفائدة.

من هذه الحقيقة نتوصل إلى أن ريكور يعد تجربة التعرف إلى الماضي مميزة، إذ يصفها بأنها: "معجزة صغيرة بالفعل، ففي لحظة التعرف تعد الصورة الحاضرة أمينة للتأثير الأول عند صدمة الحدث، وإذ تتكلم العلوم العصبية فقط إعادة تنشيط الآثار يستمع عالم الفينومينولوجي التجربة الحية فيتكلم عن استدامة الانطباع الأصلي، وهذا الخطاب هو الذي سأحاول أخذه إلى أقصى درجات التوهج مستغلا ما عمله برجسون في كتبه المادة والذاكرة في مسلمته الاستعادية كلياً أو ولادة الذكري منذ لحظة الانطباع، وحول

(١) هنري برجسون، الطاقة الروحية، ص ١٤٣ .

(٢) جناة بلخن، (بحث) الهوية والذاكرة ومسارات الاعتراف، ص ٩١ .

(٣) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ص ٢٥٠ .

إحياء الصورة في لحظة التعرف<sup>(١)</sup> وهذا يدلُّ على مدى تأثير برجسون على ريكور في كيفية التعرف وجعلها عملية تذكر للصور المنطبعة.

وخلاصة ذلك عدَّ ريكور أنَّ هذه المعجزة البرجسونية هي النجمة المرشدة إلى الذاكرة السعيدة التي يبحث عنها ريكور؛ إذ يعدُّها "النجمة المرشدة لكل فينومينولوجيا الذاكرة كانت فكرة الذاكرة السعيدة، لقد كانت مخفية في تعريف الاستهداف المعرفي للذاكرة وهو الأمانة، الإخلاص، إنَّ الإخلاص للماضي ليس معطى من المعطيات، بل هو أمنية، مثل كل الأمنيات، يمكن أن يصاب بخيبة أمل أو أن يحبط، إنَّ إحالة هذا التمني هو أنه لا يقوم على العمل بل على تمثل (تصور) يستعاد في سلسلة من أفعال اللغة المكونة للبعد الإخباري للذاكرة"<sup>(٢)</sup>.

#### • المطلب الثالث//الذاكرة والخيال :

إنَّ تفسير العلاقة بين الخيال والذاكرة من المسائل المميّزة التي تطرق لها العديد من الفلاسفة؛ إذ لاقت مواقف مختلفة بين الجامع بينهم وبين رافض لإقامة علاقة بين الخيال أو عملية التخيل وبين الذاكرة أو عملية التذكر، إذ توافق الفيلسوفان على مبدأ واحد بين هذه العلاقة معتبرين أنَّ الخيال أو التخيل لا يصدر عنه تذكر لصورة حقيقة، فعملية التخيل لا تطابق الصورة المدركة في اللحظة الآنية الحاضرة، إنَّما تضيء عليها عدم الوضوح والغموض؛ إذ يرى برجسون أنَّ التخيل ليس تذكراً، وإنَّ الحديث عن بقاء الصور في الذهن بحسب برجسون نقله إلى بيان موقفه من الخيال أو التخيل، فإنَّ الذكرى لدى برجسون "تميل كلاً ما تحققت إلى أن تعيش في صورة؛ ولكن العكس ليس صحيحاً، والصورة الخالصة البسيطة لا تنقلني إلى الماضي إلا إذا كنت في الحقيقة قد ذهبت إلى الماضي باحثاً عنها متتبّعاً على هذا النحو التقدم المستمر الذي نقلها من الظلمة إلى النور، هذا ما ينساه علماء النفس أكثر ممَّا ينبغي عندما يستنتجون من كون الإحساس

(١)بول ريكور، (الذاكرة،التاريخ،النسيان) ، ص ٦٠٧ .

(٢)بول ريكور، (الذاكرة،التاريخ،النسيان) ، ص ٧١٤ .



المتذكر يصبح راهنا أكثر عندما يزداد التشديد عليه إنَّ ذكرى الإحساس كانت هذا الإحساس الوليد"<sup>(١)</sup>.

إذ يوجه برجسون النقد للتفسيرات التي تجعل من عمل الخيال والتخيل مشابهة ومطابقة لعمل الذاكرة والتذكر، فهو ينطلق من الشعور الذاتي الشخصي الذي من خلاله تكون الذاكرة كامنة فيه، يرى برجسون "أنَّ المحاكمة التي ننفقها إذا ما قدمت على هذه الصورة أو عزتها إذا سلفاً قتيمة الإقناع؛ ما تزال محاكمة غير فاسدة؛ لأنَّها تستفيد من هذه الحقيقة التي لا تقبل الجدل وهي أنَّ الذكرى تتحول كلما تحققت، لكن اللامعقولية تبدو للعيان عندما يحاكم المرء الأمور متبعاً السير المعاكس... أو عندما يجعل شدة الإحساس تتناقض عوضاً عن أن يجعل شدة الذكرى الخالصة تتزايد... وبحين بدون أي شك حين يستحيل فيه على أن أقول هل ما أحسُّه هو إحساس أعانيه أو هل هو إحساس ضعيف اتخيلته، إلاَّ أنَّ هذه الحالة الضعيفة لن تبدو لي أبداً كذكرى حالة قوية، فالذكرى هي إذاً شيء مختلف تماماً"<sup>(٢)</sup> لذلك يحدد برجسون مدة ضعف وضوح عملية التخيل التي لا يمكن عدها عملية تذكر لما يسودها من اختلاف كبير بين الإدراك الحاضر وبين الذكرى الماضية المشابه للمدرك الآتي.

هذا الأمر طبقه ريكور أيضاً مع الاختلاف بين الاثنين من حيث طبيعة الذاكرة لديهم، فبرجسون الذي يمثل الذاكرة الشعورية الذاتية إنَّما يختلف عنه ريكور في كون الأخير توفيقياً ما بين الذاكرة الذاتية والجماعية، جاعلاً من الذاكرة أساساً للتاريخ، ومن هذا المنطلق وعنايته بمسألة أمانة نقل الذكريات وتدوين التاريخ والحوادث بدقة، كان نقده موجه للخيال والتخيل الذي مارسه المؤرخين في كتابة الحوادث التاريخية بعيداً عن حقيقتها مغيرين الكثير من الحقائق.

لقد أراد ريكور أن يعدل مسار الذاكرة، بحسب رؤيته لها؛ إذ سعى إلى كشف العلاقة بين الذاكرة والخيال، من خلال كشف العرافيل التي تحتضن اللغة العادية السابقة والنقليل الفلسفي، فلما كانت الذاكرة تعني الحديث عن الماضي كما قلنا، فإنَّ هذا الماضي شكل

(١) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.

مشكلة عويصة لما تم ذكره من أحداث ماضية، فهناك طريقان للحديث عن الماضي بحسب ريكور فيقول: "الماضي شيء لم يعد موجودًا هناك لكنه كان هناك، كان هناك ذات مرة، ومن ثم فقواعد الماضي مزدوجة لأنه لم يعد موجودًا لكنه كان موجودًا، ونحن مدعوون، بطريقة ما، إلى تجاوز خسارة ما لم يعد موجودًا إلى التيقن مما يمون، وها هنا نواجه مشكلات التمثيل التاريخي ومشكلات مرجعية الماضي، ولكن من الضروري إلا نستبعد مطلب حقيقة ما كان"<sup>(١)</sup>؛ إذ كان ريكور معجب ومؤمن بما تردده المدرسة الألمانية، لمؤرخي القرن التاسع عشر، بأننا يجب علينا أن نروي الأشياء كما حدثت بالفعل من دون أن ندخل عامل الخيال والتخيل الذي يغيب الحقائق ويشوشها، فنحن بحاجة إلى الأدلة والتوثيق.

لذلك كانت مميزة ريكور هي فصل الذاكرة عن الخيال، ووضع الذاكرة في مكانها الصحيح، وهذا الفصل عاد به إلى الأصل اليوناني كما ذكرنا سابقًا، فأهمية الفصل تلك تعود إلى اختلاف جوهرى؛ إذ يرى ريكور "أنَّ الفكرة الرئيسة هنا هي وجود اختلاف نستطيع ان نقول انه جوهرى بين استهدافين، قصديين، أحدهما، وهي قصدية الخيال (أفلاطون) تتجه نحو الوهمي، القصصي، غير الحقيقي وغير الواقعي، واليوتوبي، والأخرى، وهي قصدية الذاكرة (أرسطو)، تتجه نحو الحقيقة السابقة، الواقع السابق، وتشكل السبقية السمة الزمنية بامتياز (شيء المتذكر)، (للمتذكر) بوصفه كذلك"<sup>(٢)</sup>، بهذا فرق ريكور بين ما هو واقعي سابق ويتم تذكره من خلال الذاكرة، وبين ما هو غير واقعي ويمثل الخيال.

### المبحث الثاني: أمراض الذاكرة وإساءات الاستعمال:

نحاول من خلال هذا المبحث أن نبيِّن آراء كل من برجسون و ريكور حول تفسيرهما من أسباب فقدان الذاكرة؛ إذ انطلق برجسون من تفسير أسباب فقدان الذاكرة من خلال أمراض الوظائف العضوية التي تسبب في عدم إيجاد الذكريات، وهذا يدل على عناية

(١) بول ريكور، الذاكرة والسرد، ترجمة: سمير سندي، دار كنوز المعرفة، الاردن، ط١، ٢٠١٦، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان)، ص ٣٤

برجسون في أنّ كما هناك أسباب للتذكر، فإنّ هناك أسباب لفقدانها أو نسيانها قصرًا، فلا بد من معالجتها، وهذا ما سنعرفه من خلال الحديث عن أمراض الذاكرة التي تطرق لها برجسون باحثًا عن مواطن الخلل في فقدان الذاكرة وهل هذا الفقدان نتيجة لضعف في الذاكرة أو بسبب خلل في الدماغ أو المادة التي أساءت استعمال الذاكرة؟

### • المطلب الأوّل//أمراض واضطرابات الذاكرة عند برجسون:

نصل إلى البحث في أمراض الذاكرة كما وصفها برجسون التي تسبب بفقدان الذاكرة، فما هي هذه الأمراض والاضطرابات، وما سببها، وهل تصيب الأجهزة المادية كالدمغ والجهاز العصبي، أو هذه الأجهزة ليست مسؤولة عن الخلل الذي يصيب الذاكرة ويتسبب بفقدانها؟ جميع هذه التساؤلات نحاول أن نجيب عنها بحسب رؤية برجسون لها؛ إذ يرى برجسون أنّ: "تأثير المرض الدماغى عامة في الحياة النفسية"<sup>(١)</sup>، أي أنّ الأمراض التي تصيب المادة أو الدماغ تؤثر على الحالات النفسية والفكر والذاكرة أيضًا بحسب برجسون، على اعتبار أنّ المرض يحدث خلل في المادة. فالقصور الظاهري في الذاكرة ليس في الحقيقة قصور في الجزء العقلي من الذاكرة، ولكن في الميكانيزم الحركي الذي يحول الذاكرة إلى الفعل.<sup>(٢)</sup>

فالدماغ لدى برجسون يتكون من: "مجموعة الأدوات التي تتيح للفكر أن يستجيب لتأثير الأشياء استجابات حركية ينفذها أو يهيم أن ينفذها، فتضمن، إذا هي كانت صحيحة، كحال اتصال الفكر بالواقع"<sup>(٣)</sup> أي أنّ المرض يصيب هذه الأدوات الناقلة للمعلومات لما بين الواقع والفكر والذاكرة، ويعدّ برجسون الذاكرة الحقيقية ليست وظيفة الدماغ أو المخ، فالماضي لا بد أنّت تهض به المادة يتخيله الذهن، والذاكرة ليست

(١) هنري برجسون، الاعمال الفلسفية الكاملة، ترجمة: سامي الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دبط، ٢٠٠٨، ص ٦٣.

(٢) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج٣، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، مصر، دبط، ١٩٧٧، ص ٤٤٥.

(٣) هنري برجسون، الاعمال الفلسفية الكاملة، ص ٦٤.

انبثاقاً من المادة، بل العكس أقرب إلى الحقيقة إذا كنا نقصد بالمادة ما يجتمع في الإدراك الحسي الذي يشكّل دائماً ديمومة معينة<sup>(١)</sup>.

ومن تفسيره لأمراض الذاكرة جعلها محطة نقد لأصحاب نظرية الموازة امثال (سبينوزا ومالبرانش ولايبنتز) الذين يرون أنّ هناك موازة بين عمل الدماغ وعمل الفكر، فإنّ هذه النظرية تناهض التجربة؛ لأننا لو التجانا إلى التجربة لاتضح لنا أنّ المسألة ليست علاقة عليه وإثما ارتباط ليس فيه تكافؤ بين ما يدور في الدماغ وما يدور في الشعور (الفكر)، فالواقعة الفسيولوجية الواحدة تقابلها وقائع نفسية عديدة<sup>(٢)</sup>، فالظاهرة النفسية في حاجة دوماً إلى شكل مادي جسمي، ولكن هذا الشكل الواحد قد يصلح لأكثر من لوحة، والظاهرة الفسيولوجية الواحدة قد تعبر عن حالات نفسية عديدة مختلفة، وبذلك ينتهي برجسون إلى نتيجة مميّزة بأنّ الدماغ لا يحدد الفكر، كما أنّ الإطار لا يحدد ولا يعين اللوحة، ومن ثمّ فإنّ من الضروري أن نسلم بأنّ الفكر مستقل عن الدماغ<sup>(٣)</sup>.

بالعودة إلى أمراض الذاكرة، اعتنى برجسون بالبحث بأمراض التعرف التي يقصد بها أمراض الكلمات والألفاظ التي تصيب الدماغ ومنها التي تصيب الذاكرة اللفظية، الإصابة تحدث اضطرابات في الأجهزة المحركة مثلاً المصابين بالصمم اللفظي (أي عدم القدرة على فهم ما يقال لهم) قد يستطيعون أن يحتفظوا بسائر ذكرياتهم السمعية، فإنّ التأثيرات السمعية تنتظم في حركات تجزئ الجملة المسموعة وتحد مقاطها الرئيسية وهذه الحركات تحدث عندما نسمع ما يقوله الناس لنا، فتكون هذه الحركات الآلية الباطنية من شأنها أن تكون صورة مبسطة يجد فيها الشخص الذي ينظم الخطوط الرئيسية لحركات الشخص المتكلم<sup>(٤)</sup>.

يتطرق برجسون إلى دراسة التعرف وطريقة التعرف واضطرابات التعرف التي تؤثر بالتعرف على المدركات السابقة، وما هي الوسيلة للتعبير عن المدركات السابقة بعدما

(١) برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ .

(٢) مراد وهبة ، المذهب في فلسفة برغسون ، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط٢، ١٩٧٨، ص ١٣٠ .

(٣) زكريا ابراهيم ، برجسون ، ص ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

أصبحت قدرة الإنسان على التعرف لهذه المدركات ووصفها بالوصف الصحيح، ويمكن وضع تساؤل كيف يتم تفسير الشعور بالنسبة للعلاقة بين الذاكرة والتعرف؟ فإني إذا ما التقيت بشخص للمرة الأولى، فإنني أدركه مجرد إدراك، إذا التقيته مرة أخرى فأتعرّف عليه تبعاً للإدراك الأوّل، وهذا التعرف يعود إلى ذهني، فالتعرف قرن إدراك حاضر الصورة التي أعطيت فيما سبق، ويوضح برجسون هذه الحالة ويقول: "ليكن أ الإدراك الأوّل؛ تبقى الظروف المرافقة ب، ج، د مقترنة به بالتجاور. إذا دعوت أ الإدراك نفسه متجدد فقد وجب تماماً؛ لأنّ الحدود ب، ج، د مرتبطة لا ب أ بل ب أ، وجب لاستدعاء الحدود هذه ب، ج، د أن يحمل اقتران التشابه أ على الانبجاس أوّلاً، فمن العبث القول بأنّ أ مطابقة ل أ. فالحدان مع أنّهما متشابهان، يبقيان متميزين عددياً، ويختلفان على الأقل بهذا الأمر البسيط وهو أن أ إدراك على حين أن أ لم يعد إلاّ ذكرى"<sup>(١)</sup>، وبذلك لا يمكن لإدراك متجدد أن يوحى بالظروف نفسها المرافقة للإدراك الأوّل، إلاّ إذا استدعت هذا الإدراك أوّلاً الحالة الراهنة المشابه له.

وبرأي برجسون صار: "الإدراك الحاضر سيبحث دوماً في أعماق الذاكرة عن ذكرى الإدراك المتقدم المشابه له: فالشعور بما (سبقت رؤيته) يأتي من تحاذي الإدراك والذاكرة أو من انصهار أحدهما في الثاني"<sup>(٢)</sup>، وهذه النتيجة تقودنا إلى تساؤل آخر، وهو هل يمكن اعتبار هذا التشابه والاقتران بين الذاكرة والذكرى هي حقيقة كاملة ليس محددة المعرفة في التعرف؟

كذلك يرى برجسون أنّه: "لا يكفي أبداً في الحقيقة اقتران إدراك بذكرى لتبيان عملية التعرف؛ لأنّ التعرف إذا حدث على هذا النحو فسيحى عندما تغيب الصور القديمة، وسيحصل دوماً عندما تحفظ هذه الصور، إنّ العمى النفسي، أو العجز عن تعرف الأشياء المرئية، لا يبدأ أن يرافقه كف للذاكرة البصرية العملية، وعلى الأخص يؤدي كف الذاكرة البصرية عن العمل بشكل ثابت إلى العمى النفسي"<sup>(٣)</sup>، فإذا المريض استطاع

(١) هنري برجسون ، المادة والذاكرة ، ص ٩١-٩٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

وعيناه مغمضتان وصف داره ومدينته التي يسكنها بالخيال، حتى إذا كان في الشارع بدا كل شيء جديد من حوله؛ لم يكن يتعرف شيئاً من ذلك.

يعرف المرضى استدعاء الرؤية الداخلية لشيء يسمّى لهم؛ يصفونه وصفاً جيداً جداً، ولكنهم مع ذلك عاجزون عن تعرفه حينما يعرض عليهم، فحتى الاحتفاظ الشعوريّ بذكرى بصرية لا يكفي إذا لتعرف أدراك مشابه<sup>(١)</sup>، ونتيجة لذلك يرى برجسون: "أنّ حياتنا البسيكولوجية السابقة موجودة: أنّها تدوم بكل تفاصيل أحداثها المحددة في الزمان... تنتظر هذه الذاكرة التي يكفها عمل دونما انقطاع الشعور العملي النافع باللحظة الحاضرة، أي التوازن الحسي المحرك لجملة عصبية مشدودة بين الإدراك والعمل، تنتظر ظهور صدع بين الانطباع الراهن والحركة المرافقة له كي تمر صورها منه"<sup>(٢)</sup>، ولكن ما الذي نحتاجه لكس تستحضر صورة الذكرى الماضية؟.

إذا حدث اضطراب أو أمراض لدى الإنسان في عملية التعرف، يحدث اضطراب في استعادة الذكرى، ومن هذه الأمراض هو العمى النفسي؛ إذ يتخذ شكلين مختلفين اختلافاً كبيراً " فتارة الصور القديمة هي التي لن يعود في الحقيقة استدعاؤها ممكناً، وطوراً الصلة بين الإدراك والحركات العادية المرافقة له هي التي ستنقطع لا غير؛ إذ يحدث الإدراك حركات منتشرة في كل الجهات كما لو كان جديد"<sup>(٣)</sup>، وهذان الضريان يدعونا إلى التساؤل إلى أي حد وباي معنى يمكن للذكريات أن تمحي فعلياً ولم يتم التعرف عليها؟

يجيب على ذلك برجسون عن طريق تسجيل وقائع تعرفنا على طبيعة هذه الاضطرابات التي تصيب الذاكرة؛ إذ إنّ هذه الاضطرابات تضر بالعادات المحركة أو أنّها تؤدي إلى انقطاع الرابطة التي تصل بالدراكات الحسية، وأولى هذه الوقائع هي: "فقدان حس التوجه... كأنّ مريضاً قد ضاع تماماً القدرة على التوجه في داره، ويلح فر. ميلر على هذا الأمر وهو أنّ شخصاً مصاباً بالعمى النفسي غير قادر، حتّى بعد شهور

(١) المصدر نفسه، ص ٩٣-٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٣) هنري برجسون، المادة والذاكرة، ص ٩٨.

من التمرين، عل التوجه في غرفته الخاصة، على حين يتعلم بعض العيان بسرعة الاهتداء إلى طريقهم"<sup>(١)</sup>.

أمّا الواقعة الثانية التي تتميز عن سابقتها، فهي الكلام عن النحو الذي يرسم عليه هؤلاء المرضى إذ إنّ: "حالات التعرف اللفظي أي فقدان التعرف البصري المقتصر على الحروف الأبجدية وعجز المريض في هذه الحالة عن إدراك ما قد يمكن تسميته بحركة الحروف عندما يحاول نقلها إنّما هو أمر درجت مشاهدته، يبدأ برسم هذه الحروف من نقطة ما متحققا في كل لحظة من بقائه على اتفاق مع النموذج"<sup>(٢)</sup> أي أنّ هذا المرض أو الاضطراب يعمل على أحداث عدم مطابقة بين الحروف والكلمات وبين الحادثة الحاضرة، فالمصاب لا يجيد الاختيار للكلمات والحروف الملائمة لحدث ما.

فاذا وجدت الآفات الدماغية (الأمراض والاضطرابات) فتعمل من جهة على منع الجسم من اتخاذ الوقت المناسب لاستدعاء الصورة، ومن جهة أخرى تقطع صلات هذه الذكريات بالوقائع الحاضرة، بمعنى أنّها تحذف اخر طور من أطوار تحقق الذكرى، أي تحذف طور العمل، تمنع الذكرى من التحقق، وبذلك نصل إلى أنّ هذه الآفات لا تبيد الذكريات بشكل نهائي، إنّما تعرقل عملية الاستدعاء، فاذا انتفت هذه الأمراض وعاد الدماغ إلى عمله المترابط، عادة الذكريات إلى الظهور"<sup>(٣)</sup>.

يوضح برجسون مرض (الافازيا) الذي يصيب القشرة الدماغية ويصيبها بالتلف، فيقول: "إذا أصيب المرء بالافازيا، كانت الذكرى موجودة، إلا أنّ المريض يصبح غير قادر على ان يجدها حين يحتاج إليها، فنراه كأنه يطوف حولها ولا يملك القوة على ان يضع اصبعه على النقطة الدقيقة التي ينبغي ان يمسه، والعلامة الخارجية التي تدل على القوة في الميدان النفسي أنا هي الدقة، ولكن الذكرى لا تزال موجودة"<sup>(٤)</sup>، أي أنّ هذا المرض يوهم المريض ويضله عن إيجاد الذكريات، فمرض الافازيا يمكن وصفه بمرض يصيب دقة الإنسان في الاختيار الصحيح، وكأنّ برجسون بتحليله لهذه

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠٢ .

(٤) هنري برجسون، الاعمال الفلسفية الكاملة، ص ٦٨-٦٩ .

الأمراض بأنّه لا يؤمن بالنسيان المطلق للذكريات، بل الإنسان يتوهم النسيان، وفي الحقيقة بأنّ الدماغ المصاب بالافازيا غير دقيق في اختيار الذكرى المناسبة لحادث ما. يقودنا هذا إلى أنّ وظيفة الدماغ عند برجسون هي العمل على أن يكون الفكر حينما يحتاج إلى الذكريات قادراً على أن يحصل من الجسم حركة معينة هي بمثابة هذا الإطار الذي فيه تدخل الذاكرة من تلقاء نفسها، وإنّ مميّزة الدماغ تقديم هذا الإطار دون الذاكرة، فإنّ تسمم القشرة الدماغية في حالات التسمم من جرّاء تعاطي الكحول مثلاً يفسد الأفكار إنّما يفسد الترابط بينها بحيث يشل المرض حركة الفكر تجاه الواقع<sup>(١)</sup>.

وبذلك يخلص برجسون إلى أنّ الفكر مستقل عن الدماغ وهذا الاستقلال هو إنكار الحالات النفسية تعادل وتوازي الحالات الدماغية؛ إذ يقول: "قلا غرابة أنّ الفساد أو التلف الدماغى الذي يجعلنا عاجزين عن تذكر الأسماء والإعلام والأسماء النكرات، يدع لنا القدرة على تذكر الأفعال، وهكذا نرى أنّ الوقائع تدل هنا، كما تدل في كل موضع، على أنّ أنشاط الدماغى ليس معادلاً للنشاط النفسى، إنّما هو جزء من يتجلى بحركات"<sup>(٢)</sup>، ونتيجة لهذا لا بدّ من معرفة أنّ برجسون لا يُعدّ الدماغ هو وعاء الذكريات، فهو لا يحفظ الذكريات مطلقاً ولا تختزن فيه، وإنّنا لا يمكن أن نقيم حد فاصل بين الماضى والحاضر، ولا بين الشعور والذكرى؛ لأنّني عندما أَلْفِظ كلمة فإنّني أتذكر الكلمات التي تشابه هذه الكلمة التي ترتبط بها أن كانت سابقة لها أو ما يترتب عليها من كلمات لاحقة، وبذلك صارت وظيفة الدماغ هي التذكر، وهو أيضاً يدلنا على ما ينفعنا في العمل ويقدم لنا خدمة الانتباه إلى الحياة، وهذا يعني أنّ النشاط الدماغى لا يقابل إلاّ جزءاً يسيراً من النشاط النفسى<sup>(٣)</sup>.

إذ إنّ الدماغ ليس بمستودع للذكريات فالذاكرة في نظره ليست مجرد وظيفة من وظائف الدماغ، بل أنّ الاختلاف بين الذاكرة والإدراك الحسى لهو اختلاف في الطبيعة لا في الدرجة<sup>(٤)</sup>، إذّا اين تحفظ الذكريات؟ يعبر برجسون عن هذا التساؤل، بأنّ كلمة

(١) مراد وهبة، المذهب في فلسفة برجسون، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) هنري برجسون، الاعمال الفلسفية الكبرى، ص ٧١.

(٣) ينظر: هنري برجسون، الاعمال الفلسفية الكاملة، ص ٧١-٧٤.

(٤) زكريا ابراهيم، برجسون، ص ١١٤.



(أين) لا تصدق إلا على الأشياء، كالصور التي تحفظ بالأدراج والرفوف، أمّا الذكريات عند برجسون في ليست أشياء عينية مادية، فهي صور ذهنية غيبية، وهذه الذكريات لا تحفظ إلا في الروح<sup>(١)</sup>، أي أنّ الخلل ليس في الذاكرة الحقيقية التي اعتنى بها برجسون بشكلها العادة والمحضة، إنّما فقدان الذاكرة وعدم التعرف إلى الذكريات يعود إلى المادة أو الدماغ الذي يصاب بخلل، بتالي يؤدي إلى خلل في استعمال الذاكرة.

### • المطلب الثاني: آليات الاستعمال السيء للذاكرة عند ريكور:

إنّ ما سلكه ريكور في تفسير إساءات استعمال الذاكرة يتفق مع ما تقدّم ذكره عن موقف برجسون، ذلك أنّ استعمال الذاكرة عند ريكور تؤدي بدورها إلى فقدان الذاكرة (النسيان)، وهذه الإساءات على ثلاث أشكال أو مستويات كم يصفها، فإذا ما أردنا أنّ نجعل عمل الذاكرة جيد فلا بد من الابتعاد عن هذه المستويات للوصول إلى الذاكرة السعيدة التي ينشدها، ومن ثمّ نصل إلى فهم أساسي كانوا يقصدونه الفيلسوفين برجسون و ريكور؛ إذ إنّ عملية النسيان أو فقدان الذاكرة لديهم يتم بشكل طبيعي ليس قصرًا أو جبرًا عن قدرتها على الاحتفاظ.

### ١\_ المستوى المرضي/الذاكرة المعاقبة:

يقصد ريكور بهذه الذاكرة وكأنّه يتحدث عن الذاكرة الجريحة المتعرضة للصدمات والأزمات التي أثرت على عملية التذكر فأصابها التشويش واختلاط بين استحضار الذكرى وبين تكرارها، وبين عمل الذكرى، وهذا الاختلاط يحدث تكرار واسع في استحضار الذكريات ممّا يوحي إلى خلل في أداء الذاكرة وفي كيفية انتقاء الذكريات التي احتاج إليها ممّا يجعلني غير قادر على اختيار الذكرى الصحيحة<sup>(٢)</sup>.

سعى ريكور إلى إيجاد حل لتساؤل مميّز، وهو ما عبر عنه بـ "يمكننا أن نتساءل إلى أي مدى دراسة لمرض الذاكرة أي معاملة الذاكرة كأنفعال متلقى يمكن أن يسجل ضمن بحث حول تدريب الذاكرة، حول (فن-تقنية) الذاكرة، هذه الصعوبة جديدة: ما هو موضع الرهان الذي يتعلّق بالتغيرات الفردية والجملة الناتجة عن استعمال الذاكرة

(١) المصدر نفسه، ص ١١٥ .

(٢) ينظر: بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان)، ص ١٢٠ .

وممارستها<sup>(١)</sup> فأراد ريكور من تفسير هذه الأمراض والأزمات التي تصدم الذاكرة وتجعلها معاقة في أداء عملية التذكر، ممّا يؤدي إلى فقدان الذاكرة أو نسيان ناتج عن خلل في أداء عملية التذكر.

يرى ريكور أنّ إحدى الأسباب الرئيسة التي تجعلنا نتصور أنّ النسيان عن طريق محو الآثار القشرية الدماغية لا يستنفد قضية النسيان، " هو أنّ كثير من أمور النسيان تعود إلى الإعاقة في الوصول إلى الكنوز الغائبة للذاكرة، وأنّ التعرف مثير التوقع غالبًا على صورة من الماضي قد شكل حتى اليوم التجربة البدئية للعودة إلى ماضٍ منسي<sup>(٢)</sup> أي أنّنا عن طريق الاستنكار نصادف عوائق وعراقيل أمام عودة الصورة، ومن معرفة هذه العوائق نتوصل إلى مكان الفجوات التي حدثت خلل في الذاكرة.

لكن لا بدّ من أن نوضح مسألة مميّزة، إنّ إحدى غايات ريكور في هذا الموضوع، هو يتعلّق بالذاكرة الجماعية ولاسيّما ما وثقه التاريخ من مآسي وفواجع أثّرت في تلك الذاكرة التي انهمت بتلك المآسي والأحزان، فأراد ريكور أن يستعين بالنسيان الملاحق للذاكرة لتخليص التاريخ من هذه الأحداث المؤلمة، فيقول: "فإنّنا سنوسع الفجوة في اتجاه الظواهر التي بشكلٍ أخصّ إشكالية النسيان التي لها تأثير كبير على مستوى ذاكرة جماعية مثقلة بالتاريخ"<sup>(٣)</sup> إذ سعى ريكور أنّ يحدد مساوئ هذه الذاكرة المتعرضة للصدمات، من ثمّ تخليصها منها.

## ٢\_ المستوى العملي/الذاكرة المتلاعب بها:

انتقل ريكور إلى المستوى الثاني من مساوئ استعمال الذاكرة وهي الذاكرة المتلاعب بها، معتبرها ذاكرة أدائية؛ إذ يقول: " مهما كانت صحة التأويلات المرضية لمبالغات الذاكرة الجماعية ونواقصها فإنّي لا أريد أن أتركها تحتل وحدها كل المدى، هناك مكان مميزة يجب أن يكون إلى جانب الصيغ السلبية، المتلقاة، المؤلمة لعمليات سوء استعمال الذاكرة...سوء الاستعمال هنا هو بالمعنى الشديد للكلمة الناتج عن تلاعب مقصود للذاكرة

(١) بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان)، ص ١٢٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٤٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٤٤ .

والنسيان يقوم به من يملكون السلطة، هناك سأتكلم أقل عن ذاكرة مجروحة؛ لأنني سأتكلم أكثر عن ذاكرة أدائية<sup>(١)</sup> أي أنها عوملت أداة؛ إذ صار هذا المستوى العملي كأنه هناك عاملاً خارجياً تلاعب بالذاكرة ووظيفها وظيفة أدائية خاصة بتلك الرغبات المسيطرة عليها، بذلك تفنى قدرة الإنسان على التذكر، وهذا ما يخالف قاعدة فلسفة ريكور المبنية على مبدأ الإنسان القادر على الذاكرة، والنسيان أيضاً.

إذ يقدم ريكور ثلاث عوامل أساسية متصلة بهشاشة وضعف الذاكرة، مما يؤدي إلى سهولة خضوعها للاستغلال والتلاعب، وأولها العلاقة مع الزمن، والثانية العلاقة النزاعية بالآخر، والأخيرة هي العلاقة بميراث التأسيسي، وهذا العامل الأخير يعني أنه لا وجود لجماعة تاريخية ولدت من دون علاقة أصيلة بالعنف والحرب، وهو ما يتم الاحتفال به باسم المؤسسة، وهذه عبارة عن أفعال عنيفة تم صبغها بصبغة الشرعية من خلال قيام الدولة كاحتفال بأعياد التحرير والاستقلال، ومن ثم يرفض ريكور أيضاً حصر خدمة الذاكرة في عمل المؤرخين، ويؤكد على أن الذاكرة يخدمها الجميع<sup>(٢)</sup>.

أن هذه الذاكرة التي تطرق إليها ريكور، تعود إلى تدخل عامل مقلق ومتعدد الأشكال يلح بين المطالبة بالهوية وبين التعبيرات الجماعية للذاكرة، والمقصود منها "هو ظاهرة الأيديولوجيا التي حاولت في مكان آخر تفكيك آليتها، إن سيرورة الأيديولوجية غير شفافة على صعيدين، الأول أنها تبقى مخفية؛ فعلى خلاف اليوتوبيا تبقى غير معترف بها علناً وتخفي وجهها حين تتحول إلى تنديدات بالأخصام في فعل التنافس بين الأيديولوجيات ... ومن ناحية أخرى، فإن السيرورة معقدة إلى أقصى الحدود"<sup>(٣)</sup>؛ إذ يعود ريكور في هذه المشكلة إلى نظرية جون لوك التي جعلت الذاكرة معيار للهوية، "إن قلب المشكلة هو في تعبئة الذاكرة من أجل خدمة السعي إلى الهوية أو طلبها أو المطالبة بها"<sup>(٤)</sup> وهذه

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٢) ينظر: الزواوي بغورة، الذاكرة والعدل موقف بول ريكور، ضمن مجلة يتفكرون، الصفح والمصالحة

وسياسات الذاكرة، العدد الثاني، ٢٠١٣، ص ٢٠-٢١.

(٣) بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان)، ص ١٣٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٦-١٣٧.

الافاقات انعكست على الاستخدام الأمثل للذاكرة، وبالتالي أدّى إلى سوء استعمال النسيان أيضاً.

يقول أيضاً " لقد كان أيضاً مستوى (الذاكرة المتلاعب بها)؛ إذ إشكالية الذاكرة تتقاطع مع إشكالية الهوية حتى تكاد تختلط بها، كما هو الحال عند لوك: كل ما يكون هشاشة الهوية يبتدى كمناسبة للتلاعب بالذاكرة، وبشكل أساسي عن طريق الأيديولوجي"<sup>(١)</sup>.

يرى ريكور أنّ سبباً لإساءة استعمال الذاكرة يؤدي إلى إساءة استعمال النسيان، هو "بسبب التوسطية السردية، تصبح إساءات استعمال الذاكرة إساءات استعمال النسيان، بالفعل، قبل سوء الاستعمال هناك الاستعمال - الطابع الانتقائي حتماً للسردية، ان كنا لا نستطيع نتذكر كل شيء فإننا لا نستطيع ان نذكر كل شيء، ان فكرة السرد يصير هنا الفخ المنسوب؛ إذ تقود قوى علياً الحكمة السردية وتفرض رواية واحدة شرعية قانونية عن طريق التهريب أو الاغراء، التخوف والتملق، وينشأ هنا شكل ماكر من أشكال النسيان متات من حرمان الفاعلين الاجتماعيين من سلطتهم في أن يرووا قصتهم بأنفسهم"<sup>(٢)</sup> ، أي ريكور يرى أنّ قوة السلطة تغير مجرى الأحداث، فتجعل ما يخدمها جزء رئيس من ذكريات الأحداث تروى بالطريقة التي تخدم مصالحهم، بذلك تفنى قدرة الإنسان على التذكر والنسيان، وكأنّ هذا يذكرنا بعمل الذاكرة العادة لدى برجسون فهي تختار من الذكريات ما ينفعها بصورة طبيعية، أمّا إذا حدث خلل في المادة أدّى ذلك إلى خلل في الاختيار.

### ٣\_ المستوى الأخلاقي/الذاكرة الملزمة:

يرتبط هذا المستوى بموضوع واجب الذاكرة؛ إذ يرى ريكور أنّ فكرة الواجب ممكن أن يشكّل واجب الذاكرة في وقت واحد قمة الاستعمال الجيد وقمة سوء الاستعمال لممارسة الذاكرة وعملها...كيف يمكننا إن نقول "أنت سوف تتذكر" أي أنّك ستصرف الفعل مع سوف، أي أنّك ستصرف هذه الذاكرة بصيغة المستقبل... بل وأخطر من ذلك: كيف

(١) المصدر نفسه، ص ٦٤٨.

(٢) بول ريكور، (الذاكرة، التاريخ، النسيان) ، ص ٦٤٨ .

يسمح لنا أن نقول "تذكر" أي أن عليك أن تصرف الذاكرة بصيغة الأمر، في حين أنه يعود إلى الذكرى القدرة على الانبثاق على طريقة استحضار عفوي<sup>(١)</sup>. فواجب الذاكرة يعني التذكر، أن البحث عن الذكرى يشهد فعلا لواقعة من كبرى غايات فعل الذاكرة وهي النضال ضد النسيان، ومن اجل انتزاع بعض نتف الذاكرة من (ضراوة) الزمان<sup>(٢)</sup>.

هذا الواجب يقود ريكور إلى أن هذا الواجب يعني أيضا هو واجب عدم النسيان، لذلك يقول "واجب الذاكرة يقوم في جوهره على واجب عدم النسيان، وهكذا فإن قسما كبيرا من البحث عن الماضي يوضع تحت شعار مهمة عدم النسيان، بشكل عام، فان الخوف الشديد من نسيان الماضي أو الحاضر أو النسيان في المستقبل يضيف إلى نور الذاكرة السعيدة الظل الذي تحمله الذاكرة الشقية"<sup>(٣)</sup> فهذا الواجب ومميّزة عدم النسيان يشابه طبيعة الذاكرة المحضة لدى برجسون التي تمثل الذكرى التي تواجه آفة النسيان، فتبقى محفوظة في أعماق الذاكرة وتستدعى كلما احتيج إليها بصورة طبيعية تلقائية سلسلة. الخاتمة:

■ مثلت الذاكرة عند برجسون أبرز تجليات الشعور: في هذا الجو المادي والتوجهات العلمية حاول هنري برجسون استعادة البعد النفسي (الذاتي) للذاكرة، فالذاكرة لديه هي أبرز تجليات تيار الشعور، إلا أن هذا التوجه يتضمن انتقالا جديدا من ناحية الفهم، فالذاكرة كبنية نفسية لا تعمل بمعزل عن الدماغ، ولم يكن الدماغ وعاء للذكريات، تتضمن النظرية البرجسونية أمورًا كثيرة مميّزة مثل تمييزه بين أشكال الذاكرة: العادة والمحضة، كذلك بحثه في أمراض الذاكرة معتبرا فقدان الذكريات نابع عن اختلال أو مرض في الآلات الدماغية المادية لا خلا في الذاكرة النفسية.

■ الذاكرة عند بول ريكور قدرة من قدرات الإنسان الفاعل في فلسفته للإنسان القادر: فالذاكرة عنده تتصل بقضية التحقق من الذات (الهوية السردية) التي تعني الهوية الذاتية أي تلك الهوية التي تصمد عبر الزمن، ولما كانت الذاكرة قدرة للإنسان فقد تغير مسار البحث من سؤال (من) إلى سؤال (كيف)، أي بمعنى القدرة على الاستنكار، أي انتقالا من الذكرى إلى الذاكرة التفكيرية، يتصل هذا بكل تأكيد بالوجود الشخصي والوجود الاجتماعي التاريخي تحت

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧.

مفهوم ما يسمّى بالذاكرة السعيدة عبر اكتشاف تدرجات وسيطة من الذاكرة الشخصية (الذاتية) إلى الذاكرة الاجتماعية في حركة ذهاب وإياب جدلية.

■ الذاكرة البرجسونية ذاتية نفسية، بينما الذاكرة الريكورية توفيقية بين الفردية والجماعية؛ إذ كانت لديه ذاكرة شاملة بين الذاتية والجماعة، فهي بحسب ريكور عبارة عن صور، ويُسهم التاريخ في تكوين الصيغة اللفظية التي تعبر عن تلك الصور؛ لأنّ الذاكرة هي حوض الكائن الذي تتجمع فيه كل الصور العقلية والفعلية والماضية والحاضرة.

■ الذاكرة لدى برجسون و ريكور لا تفنى: من خلال المقارنة بين الأطروحة البرجسونية والريكورية حول قضية الذاكرة يتبيّن لنا تأكيد كلا الفيلسوفين على قضية أصالة الماضي (الذاكرة التي لا تفنى)، وفي الوقت ذاته تشديدهم على البعد العملي للذاكرة الإجرائية.

■ الذاكرة ليست خيال: أكّد برجسون على هذه النتيجة معتبراً أنّ عملية التذكر تختلف عن عملية التخيل؛ إذ يحدد برجسون مدة ضعف وضوح عملية التخيل التي لا يمكن عدها عملية تذكر لما يسودها من اختلاف كبير بين الإدراك الحاضر وبين الذكرى الماضية المشابه للمدرك الآتي، وكذلك الحال عند ريكور؛ إذ سعى إلى كشف العلاقة بين الذاكرة والخيال، فكانت مهمته هي فصل الذاكرة عن الخيال، ووضع الذاكرة في مكانها الصحيح، فأهميّة الفصل تلك تعود إلى اختلاف جوهرى فيما بين ما هو حقيقي النابع من الذاكرة، وبين ما وهو وهمي النابع من الخيال.

■ يرى برجسون أنّ الأمراض الدماغية سبب فقدان الذكريات (النسيان): دافع برجسون عن الذاكرة عن طريق توضيح أسباب فقدان الذكريات موعزاً إلى أنّ سبب الخلل الذي يصيب الذاكرة نابع من أمراض تصيب البنية المادية في الدماغ التي وظيفتها هي التعرف على الذكريات، والقصور الظاهري في الذاكرة ليس في الحقيقة قصور في الجزء العقلي من الذاكرة، ولكن في الميكانيزم الحركي الذي يحول الذاكرة إلى الفعل، إذا حدث اضطراب أو أمراض لدى الإنسان في عملية التعرف، يحدث اضطراب في استعادة الذكرى.

■ براءة الذاكرة الحقيقية من فقدان الذكريات: فقد سلط الفيلسوفيون الضوء أيضاً على أمراض الذاكرة واضطراباتها محاولين اكتشاف الذاكرة من خلال الاختلال الذي يصيبها: لدى برجسون أمراض تصيب البنية الدماغية، ولدى ريكور هي سوء استعمال للذاكرة؛ إذ حدد ريكور ثلاثة مستويات أساءت من استعمال الذاكرة (المرضى العملي والسياسي)؛ إذ ناقش هذه القضية في بعدها التاريخية، معدّاً أنّ الذاكرة تعرّضت إلى محو وتغيير لحقيقة الكثير من الوقائع الماضية

لأهداف شخصية وسلطوية زيفت الحقائق وتلاعبت بالذكريات مما أدى إلى فقدانها، فسعى ريكور إلى كشف هذه الحقيقة لإعادة السرد والتحقق.

## ***Memory and Remembrance between Henri Bergson and Paul Ricoeur: A Conceptual Approach***

**Fener Miser Saeed\***

**Ahmed Sheal Ghadeeb\*\***

### **Abstract**

This research deals with the concept of memory according to Henri Bergson and Paul Ricoeur, where memory plays one of the most important roles in the formation of our perceptions, and this position is recognized by all philosophers, that the sensations presented to us by our senses have no meaning in our mind except when our memories present to our imagination what they explain it, and this applies to the words that make up our language; Therefore, we do not exist towards ourselves except to the extent that we remember from our past that we lived, and we feel the continuity that connects and unites it with our present, and from that importance was the purpose of the research in the approach between the position of both the philosophers on memory and remembrance, as both of them took a basic goal which is to purify the importance of memory and its real role in Human life in its various psychological, social and historical aspects, with their different orientations. Bergsonian memory is a subjective psychological memory liberated from the domination and control of the machine and philosophical and psychological materialist doctrines, and the Ricorian memory is historical with a reconciliatory nature between personal self-memory and collective memory, stemming from a historical perspective.

**Key words: Memory, Remember, Approach.**

---

\* Master Student/Department of Philosophy/College of Arts/ Al -Mustansiriyah University.

\*\* Al -Mustansiriyah Center for Arab and International Studies/ Al -Mustansiriyah University.